

عبد اللطيف البغدادي (ت 629هـ) ناقدًا بلاغيًا

م. د. مصعب ماجد هاشم

جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد للعلوم
الإنسانية، قسم اللغة العربية

ملخص:

عبد اللطيف بن يوسف البغدادي من مشاهير علماء القرن السادس والسابع الهجريين، عرف بتنوع كتاباته، ومن حسن حفظه وصول جملة من مصنفاته في العلوم والفنون، في التاريخ والتفسير والحديث النبوي والأدب واللغة والطب والحساب. وله كتب في البلاغة والنقد أتى الدهر عليها فضاعت، ولكن المصنفين الذين جاؤوا بعده حفظوا لنا كثيرا من آرائه، وهذا البحث يجمع ما نُقل عن البغدادي في البلاغة والنقد، لبيان قيمته والجديد الذي فيه، وأهمية الموضوع من فقدان هذه الكتب أولا، ومن العصر الذي عاش فيه ثانيا، فالبلاغة في القرن السابع تأثرت بالمدرسة الكلامية وطُبعت بها غالبا، مع تفرّد بعض الأدباء كصاحب كتاب المثل السائر ابن الأثير الجزري. الكلمات المفتاحية: البلاغة العربية، نقد الشعر، فصاحة المفردات، النقد والبلاغة.

Abd al-Laṭīf al-Baghdādī (d. 629 AH) as a Rhetorical Critic

Dr. Musaab Majid

University of Baghdad, College of Education, Ibn Rushd,
Department of Arabic Language

Abd al-Latif ibn Yusuf al-Baghdadi is one of the most renowned scholars of the sixth and seventh centuries AH. He was known for the diversity of his writings, and fortunately, a number of his works in various sciences and arts have survived, spanning history, exegesis, Prophetic Hadith, literature, linguistics, philosophy, medicine, and arithmetic. He also authored books on rhetoric and criticism that were lost to time; however, subsequent compilers preserved many of his views for us. This research compiles what has been transmitted from al-Baghdadi in rhetoric and criticism to demonstrate his value and his novel contributions. The significance of this topic stems, firstly, from the loss of these books, and secondly, from the era in which he lived. Rhetoric in the seventh century was influenced by and predominantly shaped by the scholastic theology school (al-Madrasah al-Kalamiyyah), despite the uniqueness of certain men of letters, such as Ibn al-Athir al-Jazari, the author of Al-Mathal al-Sa'ir.

Keywords: Arabic Rhetoric, Poetry Criticism, Eloquence of Isolated Words, Criticism and Rhetoric.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين،
أما بعد:

فقد اشتهر عبد اللطيف بن يوسف البغدادي (ت 629هـ) بمساهمته في علوم العربية تدريساً وتصنيفاً، فضلاً عن إجازة أهل العلم، وعُرف بمؤلفاته المطبوعة في التاريخ والفلسفة والطب والحديث النبوي، فصار من علماء العربية

المشهورين.

وجاء في المصادر التي نقلت أخباره أن له كتباً في البلاغة وتأليفات في النقد، ولكن ضياع هذه المصنفات غطّى على جهده فيها. وتوجد اليوم نقولات وافية من كتبه، إذ احتفظ بهاء الدين السبكي في كتابه عروس الأفراح بنصوص عن البغدادي وكتابه قوانين البلاغة. وجزء كبير من كتابه شرح نقد قدامة موجود في مصنفات شهاب الدين الخفاجي وتلميذه عبد القادر. وسأدرس جهوده في ثلاثة مباحث، الأول عن مؤلفاته في النقد والبلاغة، والثاني عن قواعد الشعر ونقده لديه، والثالث عن البلاغة وفنونها وأقسامها، محاولاً بيان قيمتها وأصالتها، والجديد الذي تضيفه إلى الدرس النقدي والبلاغي، ثم إيضاح الاتجاه البلاغي الذي ينتمي إليه، سواء كان نقدياً أو تعليمياً أو فلسفياً أو أدبياً.

المبحث الأول: مؤلفاته في النقد والبلاغة

ذكرت كتب التراجم مجموعة من المصنفات للمؤلف.

- 1- كتاب قوانين البلاغة. (الحموي: 1993: 1572/4)، (الصفدي: 1993: 109/19). قال ابن أبي أصيبعة: "عمله بحلب سنة خمس عشر وستمائة". (ابن أبي أصيبعة: 1965: 694). وينبغي تمييزه عن: قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، لأبي طاهر البغدادي ت 517 هـ وهو مطبوع.
- 2- كتاب شرح نقد الشعر لقدامة. بهذا الاسم ذكره ياقوت الحموي (الحموي: 1993: 1572/4) وابن أبي أصيبعة (ابن أبي أصيبعة: 1965: 694)، والصفدي (الصفدي: 1993: 109/19).

وسمّاه شهاب الدين الخفاجي (الخفاجي: 1952: 100) التكملة، وفي كتابه المخطوط السوانح والبوارح: (الخفاجي: مخطوط: 54 أ، 180 ب) تكملة الصناعة في شرح نقد قدامة، وكذلك حاجي خليفة (خليفة: 2021: 465/7) تكملة الصناعة.

وهذا الكتاب ألفه قبل سنة 600هـ، فهو من أقدم تصانيفه في البلاغة والنقد. قال

في وصفه صاحب حاشية على شرح بانث سعاد "ومنها شرح نقد الشعر لقدامة الكاتب، ومن تأمله ظن أن عمره انقضى في تحقيق هذا الفن وتدقيقه، وهو عندي والله الحمد بنسخة صحيحة مقروءة عليه وعليها إجازة بخطه لقارئها عليه مؤرخة في شهر شوال من سنة ستمائة بالقاهرة المعزّية". (البغدادي: 1980: 416/1).

3- كشف الظلامة عن قدامة. (المصري: 1957: 5)، (المصري: 1963: 88)، (ابن أبي أصيبعة: 1965: 694)، (خليفة: 2021: 465/7) (سزكين: 1991: مج 2 ج 168/1).

4- اختصار كتاب العمدة لابن رشيق. (الحموي: 1993: 1572/4)، (ابن أبي أصيبعة: 1965: 694)، (الصفدي: 1993: 109/19).

5- اختصار كتاب الصناعتين للعسكري. (ابن أبي أصيبعة: 1965: 694)

6- مقالة في الشعر. (ابن أبي أصيبعة: 1965: 694)، (الصفدي: 1993: 111/19).

وقد حفظت لنا كتب التراث نقولاً كثيرة من كتابين له، هما:

1- شرح نقد الشعر لقدامة. ومنه نصوص في كتاب شفاء الغليل لشهاب الدين الخفاجي، وكتاب السوانح والبوارح للخفاجي أيضاً، وخزانة الأدب لعبد القادر، وحاشية على بانث سعاد لعبد القادر أيضاً، وشرح شواهد شافية ابن الحاجب لعبد القادر كذلك.

2- قوانين البلاغة. أكثر السبكي في عروس الأفراح النقل منه، سوى نقل في كتاب شفاء الغليل لشهاب الدين كذلك، ونقلين في حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي.

المبحث الثاني: قواعد الشعر ونقده

تنقل كتب الشروح الأدبية والنقد والبلاغة مقولاته في صناعة الشعر وقواعده، وشروط نظم القصيد، وعادات العرب في المعاني المستحسنة، وسنذكر هذه النصوص ثم نبين مضمونها والجديد الذي أضافته.

- الوزن والقافية

وضع قدامة بن جعفر حدودا للشعر ومعانيه وعيوبه، لذا جاء عبد اللطيف شارحا له، مبينا ما ارتضاه النقاد حتى القرن السادس. فمن عيوب الشعر (الإكفاء)، " قَالَ عبد اللطيف البغدادي: اِخْتِلَافُ حُرُوفِ الرُّوْيِ فِي قَصِيْدَةِ هُوَ الْإِكْفَاءُ، مِنْ قَوْلِكَ: كَفَأْتُ الْإِنَاءَ، إِذَا قَلْبَتَهُ. وَيُقَالُ أَيْضًا أَكْفَأْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَمَلْتَهُ. فَلَمَّا اِخْتَلَفَ حَرْفُ الرُّوْيِ عَنِ وَجْهِهِ الَّذِي يَجِبُ لَهُ قِيلَ لَذَلِكَ: إِكْفَاءُ. (البغدادي: 1997: 321/11)، (البغدادي: 1973: 264/1)

وهذا المصطلح ليس مذكورا في المطبوع من كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر. فهو استدراك الشارح، بدأه بالمعنى اللغوي ثم ذكر الاصطلاح. وفي فقرة أخرى يقول: "وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ هَذَا فِي الْحُرُوفِ الْمُتَقَارِبَةِ. وَهَذَا فِي النَّثْرِ الْمَسْجُوعِ لَيْسَ بِعَيْبٍ. وَأَمَّا فِي النَّظْمِ فَأَكْثَرُ مَا يَرْتَكِبُهُ الْأَغْرَابُ دُونَ الْفَحُولِ وَالْمَشَاهِيرِ، وَلِهَذَا لَا أُجِيزُهُ لَشُعْرَاءَ زَمَانِنَا كَمَا أُجِيزُ لَهُمُ الْغُيُوبَ الْبَاقِيَةَ، اللَّهُمَّ إِلَّا فِي الْأَرْجَازِ الْحَرَبِيَّةِ الَّتِي تُقَالُ بِدِيهَا، فَإِنَّهَا تَحْتَمِلُ مَا لَا يَحْتَمِلُ الشَّعْرُ الْكَائِنُ عَنِ رُويَةٍ وَتَمَهَّلَ". ويستمر بعدها مطبئا في شرح شواهد الإكفاء، مع طرق المعاني اللغوية للمفردات، مبينا بعض أوهام سابقيه، ولا سيما إذا كانت الرواية الشعر مضطربة، أو حين تُهمَلُ بعض شروط الإكفاء، مستفيدا من كلام الأخفش وابن قتيبة وغيرهما، مرجعا ذلك إلى تقارب الحروف، مطالبا الناقد أن يحكم ذوقه في تمييز جيد الشعر من رديئه، ومنه:

حشورة الجنين معطاء القفا لا تدعُ الدِّمْنُ إِذَا الدِّمْنُ طَفَا

إِلَّا بِجَرَعٍ مِثْلِ أَثْبَاجِ الْقَطَا

فإنه ليس إكفاء، لأن الروي الألف لا الفاء، وسبب هذا الوهم التعجل في إصدار الأحكام من دون بصر حقيقة الإكفاء.

وهذا النص المطوّل واضح الدلالة على الثقافة العالية والاطلاع الواسع، فضلا عن الحس النقدي، إذ يناقش موضوع الإكفاء وهو من عيوب الشعر استنادا إلى رأي السابقين، ولا يكتفي بذلك بل يريد من شعراء زمانه الابتعاد عنه، لأنه صار

معروفا وتناقله العلماء، فلا يُعذر مَنْ أخطأ به.

ويرد البغدادي على الذين قالوا إن آيات القرآن الكريم تحتل أوزان الشعر، واصفا إياهم بالمتحذلقين، مدافعا عن قدامة بن جعفر، فبعضهم يرى تعريفه الشعر غير دقيق ولا مانع، قال قدامة في حدّ الشعر: "قول موزون مقفى يدل على معنى". (قدامة: 1956: 17).

فاشترط مَنْ اعترض أن يضيف في تعريفه الإرادة والقصد، حتى لا يختلط القرآن الكريم أو الحديث النبوي إذا انطبق عليه بحور الخليل بالشعر، فالكلام الموزون المقفى ذو المعنى أو الخيال إذا لم يقصد قائله قول الشعر فلا يُعدّ شعرا، وحينها لا يمكن أن تُحسب أيّ آية من الكتاب العزيز شعرا.

ولعل أحمد بن فارس صاحب كتاب الصحابي انتبه لذلك فقال: "الشعرُ كلام موزونٌ مُقَفًى ذالٌّ عَلَى معنى. ويكون أكثر من بيت"، وبهذا يفرق الشعر عن غيره. (ابن فارس: د. ت: 456).

أما البغدادي فلم يقف عند تعريف قدامة، ويحاول نقاشه، بل نظر في الكلام نفسه وسبب كونه شعرا، بأن قال: "والشعر منه مطلق ومقيد، وإذا أطلق المقيد أو قيد المطلق خرج عن أن يكون شعرا إلا في أصناف يسيرة... وبالجملّة متى حركت أواخر الشعر المطلق والمقيد جميعا واقتصر على الحركات بطل أن يكون شعرا، فإذا لم يفعل بدا المعنى فقلما تصادف في القرآن ما له وزن... وقوله: (إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ) إنما يكون موزونا إذا قُيدت فاؤه. ومتى قُيد بطل كونه قرآنا... وهو لحن وتغيير للقراءة". (الخفاجي: مخطوط: ورقة 180 ب، 54 أ).

فإذا كان تغيير آخر بيت الشعر يكسر وزنه، فكذلك الآية إذا قُيد آخرها أو أطلق خالفت مراد الله تعالى منها، فلم تعد قرآنا، وبهذا ينتهي الكلام في وجود بحور الخليل في القرآن الكريم.

وكلام البغدادي نفيس للغاية، يدل على ذوق عالٍ في أوزان الشعر، وتلمس لمواطن تميز الشعر وفرقه عن غيره، ردّا على توهم وجود بحور الشعر في آيات

القرآن الكريم.

- المديح في كلام العرب

لم يتميز شعراء العربية بمثل قصائد المديح، فليس شيء أحب إلى النفوس منه، وقد أطال أصحاب كتب معاني الشعر وشرحه القول في أنواع المديح، وما ارتضته العرب وتعارفت عليه، أو تركته فصار عيباً على قائله. ومديح الملوك مختلف عن غيره، وهو في الرجال ليس كالنساء، والأهم أن ذكر صفات الممدوح وكرم عنصره فضلاً عن شجاعته وصفاته المعنوية مقدم على الصفات المادية التي يمكن اكتسابها. " قال عبد اللطيف البغدادي: هو في الرجال حقيقة، ومدح النساء يُقال له وصف وتشبيب إلا أن يكون في المرأة شيء من أخلاق الرجال كما إذا كانت ملكة أو ذات رأي وسياسة، ولا يمدحون إلا بما يخصهم كالعقل والشجاعة والعدل الذي منه الكرم والعفة ". (الخفاجي: مخطوط: ورقة 54 ب، 127 أ).

ويُنَبِّه على أمر غفل عنه نقدة الشعر، بأن المدح الحسن ذكر أوساط هذه الخصال، فإذا تجاوزها فهذه المبالغة في المديح، وما سوى هذين تقصير يعاب قائله. وهذا من قضايا النقد، ومعيّار جودة المديح، ولا شك أن قائله قد أسعفته ثقافته العالية في ذلك، اعتماداً على ما قرأه من شعر العرب الفصحاء، ومعاني المديح الذي يرضي الممدوحين، وخلاصتها بيان ما تميز به الممدوح عن غيره من الناس. ولا شك أن الجودة أساس في ذلك، مع التركيز على الصفات المعنوية التي تتوارثها الأجيال. ثم ميّزه في قول الحطيئة:

مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ

تَزُورُ أَمْرًا إِنْ يَعْطُكَ الْيَوْمَ نَائِلًا بِكَفِيهِ لَا يَمْنَعُكَ مِنْ نَائِلِ الْعَدِ

" وَصَفَهُ بِأَنْ نَارَهُ مَوْقِدَةٌ بِاللَّيْلِ، وَهَذَا عِنْدَ الْعَرَبِ غَايَةُ الْمَدْحِ بِالْكَرَمِ وَقُرَى الضَّيْفَانِ. ثُمَّ دَلَّ بِقَوْلِهِ: تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ أَنَّ السَّابِلَةَ تَسْتَضِيءُ بِهَا وَتَقْصِدُ نَحْوَهَا. وَهَذَا صِفَةُ النَّارِ إِذَا كَانَتْ عَلَى نَشْرِ وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا السَّيِّدُ. وَقَوْلُهُ: تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مَوْقِدٍ أَي: مَتَى أَتَيْتَهُ عَاشِيًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ وَجَدْتَ خَيْرَ نَارٍ أَي:

أَنْفَع نَارَ لِلدَّفءِ وَالْأَكْلِ... فعلى هذا يكون قد وَصَفه فِي هَذَا الْبَيْتِ بِجَمَاعِ الْفَضَائِلِ... فاعرف ذلك. (البغدادي: 1997: 93/9 - 94).

فشهرة البيت لأن الشاعر أخرج فضائل الممدوح ومناقبه، على عادة العرب في المديح الجزل. والبيت الثاني: فِيهِ صِنْفَانِ مِنَ الْمَدْحِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يُؤْتِي مَالَهُ لِكِتْسَابِ الْحَمْدِ، فَخَلَصَ بِهِ مِنْ رَذِيلَةِ التَّبْذِيرِ الَّذِي هُوَ إِنْفَاقٌ لَا لِعَرْضٍ صَحِيحٍ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ يَنْفِقُ مَالَهُ لَطَلْبِ الْحَمْدِ، لَا لِعَوَضٍ آخَرَ فَخَلَصَ بِهِ مِنْ رَذِيلَةِ التَّقْتِيرِ، وَهُوَ أَخَذُ الْعَوَضِ الْمَحْسُوسِ فِيمَا يُنْفِقُهُ. فَحِينَئِذٍ تَمَحَّضَ الْوَسْطُ لِلْفَضِيلَةِ". (البغدادي: 1997: 95/9).

والمعنى في هذا البيت تكرار للبيت الأول، بوصف الممدوح وكرمه وحسن تدبيره، وهذا من الخصال الحسنة التي تهفو إليها النفس. وفي قول الشماخ بن ضرار:

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ

إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

يفسر ألفاظ اللغة، وأن (رأيت) بمعنى (علمت) أو (أبصرت)، قائلا: "وهذا البيت دل به على الأخلاق العتيدة والفضائل النفسية، وأما البيت الأول فدل به على الأفعال الحميدة والخيرات المشاهدة، فصار البيت الأول توطئة للثاني". (البغدادي: 1975: 204/4).

- التشبيب والنسيب والغزل

لم يزل شراح الشعر ورواته وحتى اللغويون يذكرون التشبيب والنسيب أو النسيب والغزل، فصارت من المترادفات، وقدامة يميز بين النسيب والغزل فقط. (قدامة: 1956: 123). أما البغدادي فميّز بين الثلاثة، بدءًا بمعانيها اللغوية: "يقال فلان يشبب بفلانة أي ينسبُ بها ولتشابههما لا يفرق اللغويون بينهما، وليس ذلك

إليهم. والتشبيب من قولك شبَّ الفرس إذا ارتفع، وشبَّ الغلام إذا ارتفع عن حال الطفولية، وشبَّت النار والحرب إذا ارتفع ليهبهما... فقليل للشاعر إذا أشاد بذكر المرأة وأظهر محاسنها وشهر صفتها ان يشبَّ بها ". (البغدادى: 1980: 164/1 - 165)، (الزبيدي: 1998: 92/30).

فعلى عادته يتدئ المعنى اللغوي لتأصيل المفهوم الاصطلاحي وتقريبه في ذهن السامع، ولا شك أن الغاية التعليمية واضحة في هذا الأسلوب. ثم يوضح الفرق تمامًا: "إن الغزل هو الأفعال والأحوال والأقوال الجارية بين المحب والمحبوب نفسها، وأما التشبيب فهو الإشادة بذكر المحبوب وصفاته وإشهار ذلك والتصريح به، وأما النسب فهو ذكر الأحوال الثلاثة، أعني حال الناسب والمنسوب به والأمور الجارية بينهما، فالتشبيب داخل في النسب، والنسب ذكر الغزل. (البغدادى: 1980: 166/1).

ومن معالم منهجه شرح شواهد الشعر، بتفسير ألفاظها ثم طرق بيت القصيد، معتمدا على كتب اللغة ومعجماتها، وكتب معاني الشعر ودواوينه عن أئمة اللغة. (البغدادى: 1997: 410/10)، (البغدادى: 1975: 446/4). وهذا المنهج يبين المعنى العام من دون تطلب مواطن الجمال وبلاغة السياق، ولا شك ان غاية المؤلف في شرح كتاب قدامة أو الغاية التعليمية فرضت عليه ذلك، بل إن هذا الأسلوب في شرح الشعر سائد عند الشراح، حتى عابه ابن الأثير بأنهم: "لا يعرضون إلى شيء من المعاني الدقيقة التي يسأل عنها، وغاية ما عندهم أنهم يذكرون الإعراب، ويفسرون الكلمة اللغوية، والشعر ليس المراد منه ذلك ". (ابن الأثير: 1958: 23 - 24).

المبحث الثالث: البلاغة

إذا كان كتاب شرح نقد الشعر للبغدادى مقيداً بحدود الشعر وعيوبه وتفسير ألفاظ شواهد، فإن النصوص التي نقلها بهاء الدين السبكي من كتاب قوانين البلاغة تفصح عن صورة أوضح لجهد، وتبين اعتداده بآرائه، ولا ننسى أن الكتاب في

البلاغة عموماً، وليس عن قدامة وحده، فصار له ان يناقش أكثر ويضيف.

- تعريف البلاغة

عرّف البغدادي البلاغة على طريقة الأدباء، لذا مدحه السبكي قائلاً: "وما أحسن عبارة عبد اللطيف البغدادي: البلاغة شيء يتدئ من المعنى، وينتهي إلى اللفظ" (السبكي: 2003: 92/1 - 93).

ثم يردف بالفرق بين البلاغة والفصاحة: "والفصاحة شيء يتدئ من اللفظ، وينتهي إلى المعنى؛ فإن فيها جمعا بين ما افترق من كلام الناس". فهو يسير في ركب البلاغة الجاحظية الأدبية التي ترجع الشأن إلى الألفاظ.

وتقديم الألفاظ على المعاني واضح لديه، فالرمانى قسّم الإيجاز ثلاثة أقسام، ولكن البغدادي "يوافقه بأنه ثلاثة بالمعنى ولكنه جعلها ستة في اللفظ، فهي ستة أزواج متقابلة، البسط ويقابله القبض، والاختصار ويقابله: التطويل، والإجمال: ويقابله التفصيل، والتكرير: ويقابله الأفراد. (السبكي: 2003: 600/1).

وما ذكرناه من طريقة أدبية لا ينفي عنه - أحيانا - الصبغة الفلسفية، فلم يكتف بما قال في التفريق بين البلاغة والفصاحة، بل سأل: كيف تكون البلاغة والفصاحة باللفظ، مع أن القرآن الكريم حاز أعلاهما وهو ليس بلفظ؟ ليجيب بأنه لفظ قديم نفساني. (السبكي: 2003: 93/1).

ومن مصطلحاته (التمليط) وهو: "إجازة الشعر بديهة". (الخفاجي: 1952: 257)، (المحبي: 1: 346/1994)، وقد اعتمد على كلام ابن رشيق القيرواني الذي ذكر أن التمليط مساجلة بين الشعراء، (القيرواني: 1988: 713/2). ولكن يُحسب للبغدادي - بحسب ما نُقل عنه - أنه لا يكتفي بالنقل بل يطوّعه بما يخدم غايته وأسلوبه.

ومن طريقته البحث عن الجديد ليتميز به، ولو كان رواية جديدة نادرة لشاهد مشهور، فكلمة (الهعخع) يذكر البلاغيون أن تنافر حروفها أفقدها الفصاحة،

ولكنه جاء برواية أخرى قائلا: "وشذ قولهم الهعخع، وقيل: إنما هو الخعخع". (السبكي: 2003: 58/1). وروايته موجودة في المعجمات، وهي موجودة كذلك لدى ابن سنان في كتابه. (الخفاجي: 1932: 53).

وكذلك الشاهد الذي يذكره البلاغيون على تنافر المفردات:

وليس قرب قبر حرب قبر

إذ جاء بخطه: (السبكي: 2003، 77/1).

وما بقرب قبر حرب قبر

وهذه الرواية لم أجدها عند غيره.

أدوات التشبيه

"وجعل عبد اللطيف البغدادي من أدوات التشبيه كلمة سواء، كقولهم: رأيت رجلا سواء هو والعدم"، وكذلك ياء النسب في قولهم: لون أحمر. (السبكي: 2003: 74/2 - 75). وهذا من انفراداته.

وفي أدوات التشبيه أيضا يرى إن (الكاف) و(مثل) و(شبه) و(نظير) تأتي في الأمور العلمية والمعارف النظرية. (السبكي: 2003: 75/2)

أنواع التشبيه

وعند السبكي لا يصح تشبيه شخص بشخص في النوعية معضداً كلامه بقول صاحب قوانين البلاغة: تشبيه نوع بنوع ونوع بجنس وجنس بنوع، ولا يشبه شخص بشخص من جهة ما هما تحت نوع واحد قريب يعمهما، بل من جهة حالة يشتركان فيها هي في أحدهما أبين". (السبكي: 2003: 49/2). فليس من فائدة التشبيه إذا لم يتميز أحد الطرفين على الآخر، حتى يأخذ المشبه من (الأقوى) الطرف الثاني المشبه به ليقربه.

والتشبيهات لديه أظهر ما تكون بالتضاد، "وقد نظر إلى التضاد من وجه آخر، فقال: قد يشبه أحد الضدين بالآخر، إذا كان أحدهما أظهر، كما يقال: العسل في حلاوته، كالصبر في مرارته، وكقول الحكيم: الموت في قلة الأمل مثل ساعة

الإنزال في شدة اللذة؛ إذ هذا بدء خلق، وهذا بدء هدم". (السبكي: 2003: 66/2). فكلاهما مشترك بالصفة وليس فاقدًا لها، وليس ثمة طرف ضعيف وآخر قوي، بل كلاهما قوي.

ومن آرائه أن التشبيه يمكن أن يقتصر المتكلم فيه على ركن واحد فقط، فيحذف المشبه والمشبه ووجه الشبه ويبقى الأداة. (السبكي: 2003: 116/2). قال تعالى: (كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ)، فحذف المشبه والمشبه ووجه الشبه، وأبقى الأداة (كَأَن). ويرى البغدادي أن قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) من تشبيه المعقول بالمحسوس، "لأن حملهم الثوراة ليس كالحمل على العاتق، إنما هو القيام بما فيها، ومثله بقوله تعالى: كَمَثَلِ الْعُنْكُوتِ". (السبكي: 2003: 63/2)

التشبيه والمجاز

يعتمد المجاز وعلم البيان عموماً على التشبيه، لذا تأتي بعض النصوص محتملة كونها تشبيهاً أو كونها مجازاً، ولا شك أن لصنعة الناقد وعقيدته أثراً في اختياره التشبيه أو المجاز. ومن المشكل لدى البلاغيين قول الشاعر:

أخو العلم حيّ خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم

ذهب بعضهم إلى أنه تشبيه، في حين يرى البغدادي أن الحي ليس مشبهاً به، بل صفة لموصوف محذوف تقديره: رجل حي ورجل حسي، فهو من مجاز الحذف. (السبكي: 2003: 39/2)

التشبيه والاستعارة

وفيها يميز بين فنون البيان، ف"التشبيه مصرح بحرفه، والاستعارة أن يطلق على المشبه اسم المشبه به من غير تصريح بأداة التشبيه، يقال: زيد أسد، وبحر، وغيث، أو زيد أسد في شجاعته". (السبكي: 2003: 26/2)، (السيوطي: 2005: 1555/4)، (السيوطي: 1969: 286/1)، (السيوطي: 2022: 161/2)، (الحموي: 1987: 52)، (المدني: 1968: 296/1). وقوله مصرح بحرفه أي

طرفه، ورأيه صدى لما قاله البلاغيون في الفرق بين التشبيه والاستعارة. ومما تتميز به البلاغة وعلم البيان احتمال إرادة المتكلم التشبيه أو الاستعارة، فقوله تعالى: (صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) اختلف البلاغيون بين كونه تشبيهاً أو استعارة إذا ذُكر الطرفان، ويرى البغدادي جواز الأمرين. (الخفاجي: د. ت: 381/1).

المجاز والاستعارة والكناية

تتيح الصبغة الأدبية للناقد حين يقرأ النصوص إعادة النظر في فنون البيان، لذا ربط المؤلف المجاز والاستعارة والكناية بحبل المعنى، بل إن المجاز والاستعارة مترادفان على معنى واحد. (السبكي: 2003: 129/2). وعلة ارتباط هذه الفنون لديه أن المجاز قد يكون اسم جنس تحته أنواع: الاستعارة، والتمثيل. (السبكي: 2003: 208/2).

وغايته أن ترتقي النصوص بالبلاغة، وليس كثرة التقسيم وتوقف الدرس والبحث، لذا أراد للاستعارة أن لا تكون بعيدة جداً، فتعزب عن الفهم، ولا تقرب جداً فتستبرد، وخير الأمور أوسطها. (السبكي: 2003: 158/2). كما اشترط ذلك في المديح الجيد.

البديع والمحسنات

يمكن القول إن جزءاً من كتابه قوانين البلاغة مخصص للمحسنات البديعية، ومما ينقل عنه مصطلحات: التكافؤ، والإيغال، والمذهب الكلامي، والتجنيس، والتبعية، والمبالغة. أما كتاب نقد الشعر لقدماء فإنه من أمات التصانيف في فنون البديع وأنواعها، ولا بد للبغدادي أن يشرح ألقاب الشعر موضحاً ومقيّداً ومعلّقا. فقد ذكر التجنيس والمجانسة وتجنيس الإشارة وألفاظ المادة جميعاً، مبتدئاً بالتعريف لغة، وأنه من المولّد الذي لم تتكلم به العرب. ثم وصف اللغويين الذين أنكروه بالقاصرين، لأن هذه اللغة ونحوها مما أُشتق قياساً على كلام العرب وهذه الألفاظ مما تجوز قياساً لا سماعاً. (الخفاجي: 1952: 100)،

(السبكي: 2003: 292/2)، (السيوطي: 1995: 113).
والتكافؤ لديه: ذكر الشيء وضده من غير اتحاد اللفظ فيسمى التكافؤ. (السبكي: 2003: 227/2)

والإيغال: المبالغة في القافية، وهو أن يأتي البيت تاماً من دون القافية، ثم تأتي القافية لحاجة البيت إلى الوزن فيزداد المعنى جودة، قال الشاعر: (السبكي: 2003: 263/2)

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب
والتتبع هو أن يتجاوز عن المذكور إلى معنى آخر، كقول الشاعر:
نؤوم الضحا لم تنتطق عن تفضل
أراد أنها مترفة مخدومة من بنات ذوي النعم والا فلا مدح فيه. (الخفاجي: د. ت: 89/6).

ويرى أن المذهب الكلامي كل ما فيه محيي العلوم العقلية، كقول الشاعر: (السبكي: 2003: 266/2)

محاسنه هولي كل حسن ومغناطيس أفئدة الرجال
ومما تقدم يمكن القول إن الطابع الأدبي وكثرة الأمثلة والشرح المطول علامات واضحة في منهجه البلاغي، وفيه يدرس مسائل البلاغة عامة على طريقة المشاركة بالتقييد وكثرة التقسيمات. (مطلوب: 1967: 52)، (بدوي: 1972: 233)، (سلام: د. ت: 273).

وأما المبالغة التي ذكرها قدامة في المديح وغيره من فنون الشعر، فضابط هذا المصطلح لدى البغدادي: الوصف بالأشياء البعيدة التخيل غير اللازمة للأمر في إحسانه ولا في الانفصال عنه، ولو كان ممكناً في نفسه قبح، كما سمع بعضهم قوله يصف السحاب:

دانٍ مُسِفٍّ فَوَيْقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ
فأراد أن يزيد عليه فقال:

عنت سحابة لنا يكرعُ منها الوحش
فزاد عليه آخر وقال: أنها تَحُدُّ في الأرض أخايد.
والأول مصيب، والثاني والثالث مخطئان، لأن الأول وصفه مما يمكن بخلافهما.
(الخفاجي: مخطوط: الورقة 54 أ - 54 ب).

الخاتمة ونتائج البحث:

- من أبرز الملامح التي سجّلناها على منهجه وكتابته:
- يتدّى مصطلحاته النقدية وألقاب الشعر بتعريفها لغة، ذاكراً دلالات استعمالها.
- أسلوب المؤلف أدبي يسهب في شرح مسألته ويعضدها بما يجليها لدى القارئ.
- اعتمد مصادر عدة في تصانيفه، منها العمدة لابن رشيّق، وسر الفصاحة لابن سنان، ولم يقتصر على النقل، بل كان له جهد واضح لا يوجد عند غيره.
- في شرح الأبيات يعمد إلى التفسير اللغوي، ثم يبين مراد الشاعر اعتماداً على مقاصد الشعراء.
- في كتابه قوانين البلاغة اقتصر على مسائل البلاغة العربية وفنونها المعروفة ولا سيما الفصاحة والبيان.
- انصب جهده في كتاب شرح نقد قدامة على الشعر والوزن وأساليب العرب في الكلام ونقده.
- إن كتاب شرح نقد قدامة تأكيد على أهمية نقد الشعر لقدامة في التأسيس لفنون الشعر وأقسام البديع.
- تأثر بفكر النحاة في المجاز، لذا يرى بعض التشبيهات من مجاز الحذف.

المصادر والمراجع:

- ابن أبي أصبع المصري، عبد العظيم بن عبد الواحد. (1957). بديع القرآن (تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف). نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن أبي أصبع المصري، عبد العظيم بن عبد الواحد. (1963). تحرير التحيير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن (تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف). لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي. (1965). عيون الأنباء في طبقات الأطباء (تحقيق وشرح: نزار رضا). دار مكتبة الحياة.
- ابن الأثير، نصر الله بن محمد ضياء الدين. (1958). الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالماخذ الكندية من المعاني الطائية (تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف). مكتبة الأنجلو المصرية.
- ابن جني، عثمان بن جني أبو الفتح. (1952). الخصائص (تحقيق: محمد علي النجار، ط. 1). المكتبة العلمية.
- ابن رشيق القيرواني، الحسن بن رشيق. (1988). العمدة في محاسن الشعر وآدابه (تحقيق: محمد قرقران، ط. 1). دار المعرفة.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. (1973). شرح أبيات مغني اللبيب (تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق). دار المأمون للتراث.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. (1980). حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام (تحقيق: نظيف محرم خواجه). دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. (1997). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط. 4). مكتبة الخانجي.
- بازي، محمد. (2015). صناعة الخطاب: الأنساق العميقة للتأويلية العربية (ط.

- 1). دار كنوز للنشر والتوزيع.
- بازي، محمد. (2020). نظرية التأويل التقابلي: مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب (ط. 2). دار كنوز المعرفة.
- الجطلاوي، الهادي. (1998). قضايا اللغة في كتب التفسير: المنهج، التأويل، الإعجاز (ط. 1). دار محمد علي حامي للنشر والتوزيع.
- الجوهرى، إسماعيل بن حماد. (1987). الصحاح (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط. 4). دار العلم للملايين.
- الحجار، عدي جواد علي. (2012). الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني (ط. 1). قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية المقدسة.
- الحموي، أحمد بن محمد مكي الحسني الحنفي. (1987). درر العبارات و غرر الإشارات في تحقيق معاني الاستعارات (تحقيق ودراسة: إبراهيم عبد الحميد التلب).
- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي. (1993). معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (تحقيق: إحسان عباس، ط. 1). دار الغرب الإسلامي.
- الخفاجي، أحمد بن محمد شهاب الدين. (د.ت.). السوانح والبوارح. مخطوط، المكتبة الأزهرية، رقم 7240.
- الخفاجي، أحمد بن محمد شهاب الدين. (1952). شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل (تصحيح وتعليق ومراجعة: محمد عبد المنعم خفاجي، ط. 1). المطبعة المنيرية.
- الخفاجي الحلبي، عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان. (1932). سر الفصاحة (تحقيق: علي فودة، ط. 1). مكتبة الخانجي.
- رستكار الجويباري، يعسوب الدين. (1357هـ ش/1399هـ ق). تفسير البصائر. المطبعة الإسلامية.
- الرجوان، مصطفى. (2020). في بلاغة الخطاب: من بديع اللفظ إلى بديع التأويل (ط. 2). دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. (1998). تاج العروس من جواهر القاموس (مج. 30، تحقيق: مصطفى حجازي).
- الزركشي، محمد بن عبد الله بدر الدين. (1984). البرهان في علوم القرآن (ط. 3). مكتبة دار التراث.
- الزمخشري، محمود بن عمر جار الله. (2010). الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (ط. 1). مكتبة مصر.
- سزكين، فؤاد. (1991). تاريخ التراث العربي (مج. 2، ج. 1؛ نقله إلى العربية: عرفة مصطفى؛ راجع الترجمة: محمود فهمي حجازي وسعيد عبد الرحيم). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- سلام، محمد زغلول. (د.ت.). تاريخ النقد العربي والبلاغة من القرن الخامس إلى العاشر الهجري. المعارف.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. (1426هـ). الإتيقان في علوم القرآن (تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، ط. 1). مركز الدراسات القرآنية.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. (1969). معترك الأقران في إعجاز القرآن (تحقيق: علي محمد البجاوي). دار الفكر العربي.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. (1995). نظم البديع في مدح خير شفيح (تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود). دار القلم العربي.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. (2022). نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار (تحقيق: ماهر أديب حبوش، ط. 1). دار الباب؛ مكتبة الإرشاد.
- صدر الدين المدني، علي بن معصوم. (1968). أنوار الربيع في أنواع البديع (تحقيق: شاكر هادي شكر، ط. 1). مطبعة النعمان.
- الصفدي، خليل بن أيك صلاح الدين. (1993). الوافي بالوفيات (مج. 19؛ تحقيق: مجموعة من الأساتذة). جمعية المستشرقين الألمان.

- عيد، محمد عبد الباسط. (2016). النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن. إفريقيا الشرق.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (د.ت.). كتاب العين (تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي). سلسلة المعاجم والفهارس.
- القاسمي، محمد جمال الدين. (1957). تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (تعليق: محمد فؤاد). دار إحياء الكتب العربية.
- القزويني، محمد بن عبد الرحمن. (1967). القزويني وشروح التلخيص (ط. 1). مكتبة النهضة.
- كاتب جلبي، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني. (2021). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (تحقيق وتعليق: أكمل الدين إحسان أوغلو وبشار عواد معروف، ط. 1). مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.
- المحبي، محمد الأمين بن فضل الله. (1994). قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (تحقيق وشرح: عثمان محمود الصيني). مكتبة التوبة.
- مصطفىوي، محمد. (2009). أساسيات المنهج والخطاب في دروس القرآن وتفسيره (ط. 1). مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
- مطلوب، أحمد. (1967). القزويني وشروح التلخيص (ط. 1). مكتبة النهضة.

